عُمَر ماجد السَّنَوي

كتاب أفانين البلاغة

وإشكالية النسبة إلى المؤلف



لأبي القاسم الحُسين بن مُحمد بن المُفضّل

الرّاغب الأصفهاني

من أعلام القرن الرّابع الهجري

يُطبع أول مرّة عن نُسختين خطّيتين

إحداهما نفيسةٌ صحيحةٌ مُقابلةٌ على عدّة نُسخ



تحقيق ودراسة

عُمَر ماجد السَّنَوي





العددان العاشر والحادي عشر: أيار - حزيران ٢٠٢٢م السنة السادسة نشرة أنشئت عام ١٩٩٨م صادرة عن المجمع العلمي العراقي

في هذا العدد ملف خاص عن:

وجوه السيرة في مرايا الثقافة والأدب

- تدريس العربية لغة ثانية للناطقين بغيرها .. صعوبات وإشكالات

- بلاسم محمد .. ومشاغل الخطاب الجمالي

- الهويات الوطنية في مواجهة تحديات العولمة الثقافية



شروط النشر

- أنْ تكون المقالة سليمة من الأخطاء اللغوية والنحوية مع مراعاة علامات الترقيم.
- لا يتجاوز عدد كلمات المقالة (١٠٠٠) كلمة.
- ترسل المقالات مطبوعة على الحاسوب بخط نوع Times New Roman ، قياس (١٤).
- يمكن أن تتضمن المقالة صورًا ورسومًا توضيحية.
- يخضع ترتيب المواد المنشورة على وفق اعتبارات فنية.
- الآراء الواردة في المقالات لا تعبرّ عن رأي المجمع العلمي العراقي
- لهيأة تحرير النشرة تعديل ما تراه مناسبا وبما ينسجم مع أهدافها من دون الرجوع إلى كاتب المقال.
- ترسل المقالات على البريد الرقمي الخاص بالنشرة :

awraqmajma@iraqacademy.iq

awraqmajma@gmail.com

من أهداف المجمع العلمي

- إيجاد مرجعية علميّة في حقل الاختصاص
- المحافظة على سلامة اللغة العربيّة والكردية والتركمانية والسريانية وغيرها، والعمل على تنميتها ووفائها بمطالب العلوم والآداب والفنون.
- وضع معجمات وموسوعات علميّة ولغوية.
- تحقيق الكتب والوثائق العلميّة القديمة ونشرها.
- إحياء الإرث العراقي والعربي والإسلامي في العلوم والآداب والفنون والعناية بدراسة تأريخ العراق وحضارته وتراثه.
- التعاون مع الجامعات والمؤسسات العلميّة داخل العراق وخارجه وإقامة روابط علميّة معها.

أوراق مجمعية

محتويات العـــدد

«أفانين البلاغة» وإشكالية النسبة إلى المؤلف

الدكتور عمر ماجد السنوي

تفضَّلَ سماحةُ الشيخ صادق الحسناوي بتقديم قراءة عن مدى صحة نسبة كتاب «أفانين البلاغة» إلى الراغب الأصفهاني، وهو الكتاب الذي حققتُه ودرستُه في رسالتي للماجستير عام (٢٠١٨) ثم طُبِعَ في دار أروقة، بالأردن، أواخر عام (٢٠١٩).

وقبل البدء بالتعقيب على ما تفضَّلَ به سماحته، أودّ أن أتقدم إليه بالشكر والتقدير لنقده الموضوعي، وهو واجب لم يكن أهل العلم يَشكرُونَ عليه، حتى صرنا إلى زمنٍ عزّت فيه أخلاقيات النقد العلمي والبحث الموضوعي، فصار لزامًا أن يُشاد بمَن يتخلّق بها.

في مقدّمة المقالة يقول سماحة الشيخ الحسناوي عن كتاب «أفانين البلاغة»: (هو كتاب مشكوك النسبة، وكل مَن نسبه إليه اعتمد على ترجمة الراغب الأصبهاني في «بغية الوعاة» للسيوطي، التي ذكر فيها أنه وقف على كتاب «أفانين البلاغة» للراغب، ولم يفصح عن ماهية هذا الوقوف). وهذا حقٌّ من جهة أنّ السيوطي لم يفصح عن شيء سوى أنه رآه، ولم ينقل منه نصًّا يدفعنا إلى مقارنته بما عثرنا عليه من مخطوطات له، لقد كان تصريح السيوطي الغامض هذا باعثًا للدكتور عمر الساريسي -رحمه الله- إلى الزعم بأن السيوطي يقصد بذلك كتاب «مجمع البلاغة» للراغب، الذي قام هو بتحقيقه، حيث لم يكن آنذاك قد اكتُشِف «أفانين البلاغة».



لكن هل كان تصريح السيوطي كافيًا؟

الجواب: لا. إنما كان ذا دلالة مساندة، وليست قطعية في هذه القضية، ولذلك لم أذكره في دراستي إلا على سبيل الاستئناس عند كلامي عن تحقيق عنوان الكتاب (ص٢٩)، وليس عن صحة نسبة الكتاب كما يوهِم كلام سماحة الشيخ.

وقد قدَّمتُ في دراستي دلائل متعددة على صحة نسبة الكتاب إلى الراغب الأصفهاني، وهي باختصار:

- إنّ الكتاب فيه نصوص تدلّ على عصره (ص٤٦).

- وأنّ الخطيب القزويني نقلَ من كتابه هذا ونَسَبَه إلى الراغب صراحةً (ص٣١).

- إنّه يحتوي على نصوص خاصة بالراغب لا توجد إلا في كتبه ولم يذكرها سواه (ص٣٠).

- وأنّ الأسلوب هو ذاته أسلوبه، وقد أبنتُ عن أسلوبه في غير موضع، يُنظَر: (ص٤٩-٥٢) و(ص٧٠-٧٢).

- إنّ المخطوطة النفيسة المُتقَنة نصّت على نسبته إلى الراغب (ص٢٨).

وتفضَّل سماحة الشيخ بمناقشة بعض تلك الدلائل التي قدّمتُها، ولا أدري لِمَ لَمْ تستوعب مقالته مناقشة الدلائل الأخرى؟ فهل ما ترَكَه كان ضعيفًا لا يستحق الوقوف عنده برأيه؟ أم رأى أن المناقشة التي قدّمها كانت كفيلة بنفي النسبة فلم

النسخة الخطية من كتاب (أفانين البلاغة) في مكتبة بيل

يحوجه ذلك إلى مناقشة البقية؟ أم أنه سها عنها؟

ومهما كان الأمر، فإنني هنا سأقف مع مناقشته هذه الوقفات التي أرجو أن تكون ذات فائدة:

أولًا: ذكَر سماحتُه عدم ورود عنوان الكتاب منسوبًا إلى الراغب في أي ترجمة له في كتب التراجم قبل السيوطي الذي قال بأنه وقفَ عليه ونَسبَه إلى الراغب، ولذلك عدّ سماحةُ الشيخ هذا الأمر مما يضعّف الاعتماد على هذه النسبة، لأن بين السيوطي والراغب عدة قرون، فكيف ينسب إليه شيئًا بمجرد وقوفه على مخطوطةِ كتابٍ ظنّه له بطريقةٍ نجهل ماهيّتها.

والحقيقة أنّه لا إشكال في أن يكون السيوطي هو

أول مَن ذكرَ الكتــاب، وإن كان بينه وبين المؤلف قرونًا، لأن الاعتماد لن يكــون على مجرّد ذكره له، وإنما سيكون على ما سيظهر من دلائل تجعلنا نؤيده أو نخالفه.

وهذا حاصلٌ مع الراغب في غالب كتبه. فإذا عرفنا أنّ أول ترجمة ظهرت له لم تكن في زمنه ولا في زمن تلامذته، وإنما بعد وفاته بما يقارب القرن والنصف، وهي الترجمة التي أودَعَها الحكيــم البيهقي كتابَه «تاريخ حكماء الإسلام»؛ حينها سنعرف أنّه اعتمد في نسـبة مؤلفات الراغب على ما كان موجودًا في زمانه من كتب منســوبةً إليه. ولذلك لا نستغرب أنّه أخطأ في نسبة كتاب «غرة التنزيل» إلى الراغب، بينما الصواب أنه للخطيب الإسكافي.

ولهذا عندما ذكرتُ كتاب «أدب الشطرنج» الذي نسبَه بروكلمان وكراتشوفسكي للراغب الأصفهاني وأن نُســخته الخطية محفوظة بجامعة قازان، قلتُ: «ولا يُعلَم هل هو للراغب حقــًا؟ أو وُضِع عليه اسمه خطأً؟». إذن ليس كل ما يذكره أهل التراجم والفهارس يكون معتمَدًا مــا لم تؤيده الدلائل أو تنفيه، فأنا متفق مع الشــيخ الحسناوي في ذلك إذ قال: «والتحقيق الدقيق لــدى المتأخرين يثبت أو ينفي صحة هذه النسبة من عدمها». فالإشكال في أنّ الشيخ توهم اعتمادي على السيوطي.

ثانيــًا: قال عنّي ســماحةُ الشــيخ: «لكنــه اعتمد مقاربــات غــير صحيحة وغــير دقيقة في نســبة هذا الكتــاب إلى الراغب، منها: اشــتمال مقدمة الكتاب على لفظ مشــابه لأفانين البلاغة... وهذا ممــا لا يمكن قبوله جملة وتفصيلًا». والشــيخ هنا لم يناقشــني فيــما اســتدللتُ به على صحة نســبة الكتاب، إنما ظنّ كلامي عن تحقيق عنوان الكتاب (ص٢٨) هو نفسه كلامي عن صحة نسبة الكتاب (ص٣٠)، لأنــه رأى أن إثبات العنوان ســيوافق ما ذكره الســيوطي، فيكون إثباتًا لصحة الكتاب للراغب! وهــذا خطأٌ منهجيٌ لا يمكن أن أقعَ فيه في رسالة علمية نوقشت أمام لجنة جامعية من خيرة المتخصّصين (أ.د.غســان عبدالخالــق، أ.د.أحمد الخرشــة، ود.عمر الكفاوين)، بإشراف علَم من أعلام النقــد والتحقيق (أ.د.محمد عبيد الله)، وقد أكرموني جميعًا بكتابة مقدمات للكتاب عند طباعته مع مقدمة المستشرق الأمريكي المختص بالراغب: (د.إلكسندر كي).

ثالثًا: قال ســماحة الشــيخ «أما احتجاج المحقق بنقل الخطيب القزويني كلامًا للراغب ونسبَه إليه صراحةً و...لم يتم العثــور على هذا الكلام إلا في هذه المخطوطة! فهذا توهم واشــتباه وترجيح بلا مرجّــح، فما نقله الخطيــب القزويني في الإيضاح ونســبَه إلى الأصبهــاني موجود بتمامــه في كتاب مفردات غريب القرآن للراغب... والمحقق نفسه يقرّ بذلك، فما خصوصية هذا الاقتباس؟».

الجــواب: إنّ خصوصية هذا الاقتباس هو في عدم وجوده في كتابٍ آخَر من كتبه، حتى كتابه مفردات غريب القرآن، الذي لم أقرّ بوجوده فيه، إنما أقررتُ

أنّ فيه نصًّا يشبه ترجيحه في المسألة المقتبسَة هذه، فقلتُ ما نصّه (ص٣١): «وهو نصّ لا يَخْرُج فيه الراغب عن ترجيحه هذا الرأي في كتابه الآخَر»، ثم ذكرتُ النصّ بحروفه للمقارنة بين الاقتباسَين، ولو راجعَ سماحة الشيخ كتاب «المفردات» لرأى أنّ النصّ ليس فيه إنما هو في «الأفانين»، فهذا دليل واضح على أنّ الكتاب للراغب، لأن القزويني نسبَ النصّ الذي فيه صراحةً إليه.

رابعًا: قال سماحة الشيخ: «الذي انتهينا إليه أن هذا الكتاب يحمل دلائل وروح القرن السادس وليس القرن الرابع الذي كانت البلاغة وفنونها وليدًا يحبو، فلا يصحّ ما رجحه محقق الكتاب ولا يمكن الأخذ بحكمه».

وتعقيبًا على كلام سماحته أشير عليه بقراءة الفصل الخاص الذي قارنتُ فيه بين كتاب الراغب هذا وكتاب معاصره أبي هلال العسكري (ص٦٧)، ليَعرفَ أنهما متوافقان جدًا في المحتوى، والعسكري معروف أنّه من أهل القرن الرابع، فهذا يؤكّد أن الكتاب ينتمي إلى تلك الحقبة.

ولو تأمّل الشيخُ الفصلَ الذي قبَله (ص٦٣) لَتأكّد أن البلاغة في القرن الرابع لم تكن وليدًا يحبو، بل كان قرنًا حافلًا بأنواع من التأليف البلاغي المُحكَم.

وأخيرًا: ختَمَ الشيخ الحسناوي مقالته بخلاصة وهي أنّ الكتاب لمؤلف مجهول، وربما يكون نفسه الأندلسي الذي طُبع الكتاب منسوبًا إليه قبل ٣٥ سنة، وكأنّ الشيخ مرّ مرورًا سريعًا على الفصل الذي خصصته لإبطال هذه النسبة (ص٣٢)، فلعله يراجعه.



لوحة (رجل و حصان) للفنان جواد سليم (١٩١٦ - ١٩٦١ م)